# صفات عباد الرحمن

## ٦- التوحيد

● **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

لازلنا نعيش في رحاب القرآن ومع عباد الرحمن ، ومن منّا لا يحب أن يكون عبداً من عباد الرحمن ، من منّا لا يحبّ أن ينتمي إلى هذه الفئة الصالحة الصادقة ، التى رضيت عن الله تعالى ورضي الله عنها ، وجعل جزاءها الجنّة ﴿ أُوْلَئِكَ يجزونَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ويُلَقَّوْنَ فيهَا تَحيَّةً وَسَلاَمًا ﴾ (١) ، وسجّل ذكرها في كتابه ، وذكرهم بهذه الأوصاف الكريمة ، وهذه السّمات الجليلة ، وهذه الأخلاق الجميلة .

فبيّن الله تعالى من أول الأمر حالهم في أنفسهم ، حال التواضع والسكينة : ﴿ الَّذينَ يَمشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (٢) ، وحالهم مع النّاس وبخاصّة أولئك السفهاء والجاهلون : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهلُونَ قَالوا سَلاَمًا ﴾ (٣) ، وحالهم مع ربّهم : ﴿ وَالَّذينَ يَبيتُونَ لرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقيَامًا * وَالَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا* إنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (٤) ، ثمّ ذكر حالهم في أموالهم ، فهم فيها متوسّطون معتدلون ، شأنهم شأنهم في كل أمورهم وفي كلّ حياتهم ، منهجهم الوسط، وطريقهم الاعتدال : ﴿ وَالَّذينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكَانَ بَيْنَ ذَلكَ قَوَامًا ﴾ (٥) . ﴿ وكَذَلكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا . . ﴾ (٦) .

هكذا ذكرهم الله تعالى بتلك الصفات الإيجابيّة ، ولكنّ الدين أمر ونهي ، فإذا كان هذا حالهم مع أوامر الله تعالى وتوجيهات الدين ، فما هي حالهم مع ما نهى الله تعالى عنه ؟

هذا ما ذكرته هذه الآية الكريمة التى نقف عند الفقرة الأولى منها : ﴿ وَالَّذِينَ لاَ

---

(١) الفرقان : ٧٥ .　　(٢)، (٣) الفرقان : ٦٣ .
(٤) الفرقان : ٦٤-٦٦ .　　(٥) الفرقان : ٦٧ .　　(٦) البقرة : ١٤٣ .

يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (١) . إنّ سيرتهم غير سيرة المشركين ، المشركون يعبدون مع الله آلهة شتّى ، اتخذوها أرباباً من دون الله أو مع الله ، والمشركون لا يتورّعون عن سفك الدماء وقتل الأنفس ، والمشركون لا يتورّعون عن هتك الاعراض وسفح الشهوات ، ولكن عباد الرحمن تورّعوا عن هذا كلّه .

فأوّل ما اتصفوا به هو التوحيد ، ولهذا « لا يدعون مع الله إلها آخر » : لا يتجهون إلى غير الله بالدعاء ، و « الدعاء مخّ العبادة » (٢) بل الدعاء هو العبادة .

روى الترمذيّ أنّ النبي ﷺ قال : « الدعاء هو العبادة » (٣) وقرأ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(٤) ، فوضع كلمة(الدعاء) موضع كلمة ( العبادة ) وكلمة ( العبادة ) موضع كلمة ( الدعاء ) .

فـ ﴿ الَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ أي لا يعبدون إلاّ الله ، ولا يقدّسون غير الله ، ولا يبتهلون إلى غير الله ، ولا يسجدون لغير الله ، ولا ينحنون لغير الله ، إلههم ( الله ) وحده .

قد أفردوا الله وحده بالعبادة وبالاستعانة ، فهموا سرّ قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥) أى : لا نعبد إلاّ إيّاك ولا نستعين إلاّ بك : « . . إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله . . » (٦) ، وكما قال الله تعالى على لسان

---

(١) الفرقان : ٦٨ .

(٢) رواه الترمذي عن أنس بن مالك ، ثمّ قال : هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلاّ من حديث ابن لهيعة ( صحيح الترمذي ، أبواب الدعوات : باب ما جاء في فضل الدعاء ) .

(٣) ورواه مسلم والطبراني وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب المفرد ،وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن النعمان بن بشير ، وقال الترمذي : حسن صحيح (كشف الخفاء للعجلوني : ١/٤٠٣ برقم ١٢٩٥) .

(٤) غافر : ٦٠ . (٥) الفاتحة : ٥ .

(٦) قطعة من حديث ابن عباس ، الذي رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وسيأتي نصّه كاملاً في صفحة (٨١) .

شعيب : ﴿ . . وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(١) ، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ، فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ . . ﴾(٢) .

إن تفرد الله بالعبادة والإنابة ، وبالتوكل والاستعانة : هذه هي حقيقة التوحيد .

والتوحيد نوعان : توحيد الربوبيّة ، وتوحيد الألوهيّة .

توحيد الربوبيّة : أن تعتقد أنّه لا ربّ غير الله ، ولا خالق ولا رازق غير الله ، فهو خالق السموات والأرض ومالكهما .

وهذا النوع من التوحيد قد اعترف به المشركون ، كانت قريش ومشركو العرب يعترفون بأنّ الله ربّ السموات والأرض : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ . . ﴾(٣) ، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ، وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ ، فَسَيَقُولُونَ اللهُ . . ﴾(٤) .

ومع هذا الاعتراف أشركوا مع الله آلهة أخرى ، عبدوا الأحجار وعبدوا الأوثان والأصنام ، ومن النّاس من عبد الشمس ومن عبد القمر ، ومنهم ومنهم .

ومن هنا قالوا : إنّ توحيد الربوبيّة لا يغني عن التوحيد الآخر : توحيد الألوهيّة.

توحيد الألوهيّة : أن لا تؤلّه غير الله ، ولا تتجه بالدعاء والعبادة والاستغاثة والرجاء والخوف إلاّ إلى الله وحده .

وهذا هو التوحيد الذي أنزل الله به كتبه ، وبعث به رسله ، ليدعوا إليه أقوامهم ، فإنّ الذي أضل البشريّة ليس هو الجحود والإلحاد ، بل هو الشرك والوثنيّة .

ولهذا كان النّداء الأول في رسالات الرسل : ﴿ . . يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ . . ﴾(٥) ، وكان التوحيد هو القاسم المشترك بين رسل الله جميعاً : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٦) ، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ . . ﴾(٧) .

---

(١) هود : ٨٨ .
(٢) هود : ١٢٣ .
(٣) لقمان : ٢٥ ، الزّمر ٣٨ .
(٤) يونس : ٣١ .
(٥) الأعراف : ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ ، هود : ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ .
(٦) الأنبياء : ٢٥
(٧) النحل : ٣٦ .

كان المشركون يعتقدون أنّ الله خالق كلّ شيىء ويعبدون غيره ، ويقولون عن آلهتهم المزعومة : ﴿ . . مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى . . ﴾ (١) ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ . . ﴾ (٢) ، فجاء الإسلام ليحرّر هؤلاء من عبادة غير الله ، سواء كان هذا الغير حجراً أو بشراً ، أو جنّا أو ملَكاً ، أو حيواناً أو نجماً ، أو شمساً أو قمراً ، أو جماداً أو أيّ شيىء .

كان النبي ﷺ يختم رسائله إلى ملوك الأرض - إلى قيصر . . إلى أمراء النصارى . . إلى المقوقس . . إلى النجاشي . . إلى غير هؤلاء من أهل الكتاب - بهذه الآية الكريمة من سورة آل عمران : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ . . ﴾ (٣) .

إنّ الذي أفسد الحياة ، وأفسد المجتمعات ، هو : دخول الشرك عليها ، واتخاذ بعضهم بعضا أرباباً من دون الله ، فإنّهم لم يعبدوا الحجر فقط بل عبدوا البشر .

كان هناك مثل ( النمروذ ) الذي قال : أنا أحيي وأميت (٤) ، فقد حكم على رجل بالإعدام ثمّ أعدمه ، وحكم على آخر بالإعدام ثمّ عفا عنه ، أنذا أحيي وأميت !

و ( فرعون ) الذي ادعّى الألوهيّة ، وقال لقومه : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ (٥) . ﴿ . . مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي . . ﴾ (٦) ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ . . ﴾ (٧) .

وهناك كثيرون ادّعوا لأنفسهم أو ادُعي لهم أنّهم آلهة أو أرباب من دون الله ، وقد لا يدّعون ذلك بألفاظهم ولكن أعمالهم تنبىء عنهم ، وتصرّفاتهم تعبّر عن هذا التأليه الكامل ، فهم يريدون أن يذلّوا عباد الله ، وأن يصبح النّاس لهم عبيداً ، يأمرونهم فيطيعون ، ويشيرون إليهم فيسمعون ، ويشرّعون لهم فينفّذون ، ويحلّون لهم الحرام أو يحرّمون عليهم الحلال فيستجيبون !

---

(١) الزمر : ٣ (٢) يونس : ١٨ .

(٣) آل عمران : ٦٤ .

(٤) قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّى الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ ، قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ . . ﴾ ( البقرة : ٢٥٨ ) .

(٥) النّازعات : ٢٤ . (٦) القصص : ٣٨ .

(٧) الزخرف : ٥٤ .

لا يقولون : لم ، ولايقولون : لا ، يحرّمون عليهم ما شاؤوا ويحلّون لهم ما شاووا !

دخل عدي بن حاتم - وكان قد تنصر في الجاهلّية - على النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أحْبَارَهُمْ ورُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً من دُونِ اللَّه وَالمَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا إلهًا وَاحِدًا ، لاَّ إلهَ إلاَّ هُوَ ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١) ، فقال إنّهم لم يعبدوهم ، قال : « بلى ، إنّهم حرّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إيّاهم » (٢) .

هذا نوع من العبادة : أن تتخذ أناساً مشرّعين ، يشرّعون لك ما شاؤوا ، يحلّون ويحرّمون ، اغتصبوا سلطة الإلهية !

هناك أنواع شتّى من الربوبيّة تظاهر بها النّاس فى مختلف القرون وعلى مر العصور ، ودان الناس لهم وأطاعوهم ، فانقسموا قسمين : آلهة وعبيد ، آلهة يفعلون ما يشاؤون ، ويحكمون بما يريدون ، ولا يُسألون عمّا يفعلون ، وعبيد ليس لهم إلاّ السمع والطاعة .

جاء الإسلام يحرّر الناس من هذا كلّه ، يحرّر النفوس من الشرك ، يحرّرها بالتوحيد ، يحررها بـ (لا إله إلا الله ) هذه الكلمة كانت إيذاناً بحياة جديدة ، ومجتمع جديد ، كانت إعلاناً لحرّيّة البشر ولحقوق الإنسان .

بهذه الكلمة يجب أن ترتفع الحياة ، وأن تتحرّر النفوس ، وأن ترتفع الرؤوس ، ولا تنحني إلا لله في ركوع أو سجود .

كان التوحيد تحريراً حقيقياً للبشريّة .

ولم يسمح النّبيّ ﷺ بأيّ نوع من أنواع الشرك ، سواء كان أكبر أو أصغر .

**هناك الشرك الأكبر وهو نوعان** : ظاهر جليّ كاتخاذ آلهة مع الله ، وباطن خفيّ كدعاء الموتى والمقبورين والاستعانة بهم وطلب قضاء الحوائج منهم .

**وهناك الشرك الأصغر** : كالتبّرك بالشجر أو بالحجر ، وكالحلف بغير الله تعالى، كأن تقسم بالنّبيّ ﷺ أو بالكعبة أو بالشيخ الفلاني أو بالوليّ الفلاني ، وقد قال النبي

(١) التوبة : ٣١ .

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسير سورة التوبة ، من رواية الإمام أحمد ، والترمذي ، وابن جرير ، من طرق ، عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه (٢/٣٤٨-٣٤٩ ) ، طبعة الحلبى .

ﷺ : « من حلف بغير الله فقد كفـــر ، أو أشرك »(١) . ، لا تحـــــلف إلاّ بالله : « . . من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت »(٢) .

ومن الشرك الأصغر أن تقول : لولا فلان لحصل كذا وكذا ، فالمسلم ينبغى أن يتحرّز في ألفاظه ويقول : لولا الله ثمّ فلان لكان كذا وكذا .

قال رجل للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتني لله نداً ؟ قل : ماشاء الله وحده »(٣) . وفي حديث آخر : « لا تقولوا : ماشاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثمّ ما شاء فلان »(٤) .

لا ينبغي أن يُقال : باسم الله واسم فلان ، لأنّ ظاهرة هذه الألفاظ جعل ( فلان ) هذا كأنّه شريك مع الله ، كأنه ندٌ لله تبارك وتعالى .

أراد النّبيّ ﷺ أن يحرّر الانسان المسلم فلا يتجه إلاّ إلى الله وحده .

حتى الغلوّ في شخصه ﷺ نهى النّاس عنه ، ما كان يجب أن يغلو الناس فيه ، وقال : « لا تُطرُوني كما أَطْرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله »(٥) . ومن هنا نقول في التشهد : أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله .

ولهذا وصفه الله بالعبوديّة في أسمي المقامات : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى

---

(١) رواه الترمذي وحسّنه ، وابن حبّان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، ووافقه الذهبي ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٧٧١-٧٧٢ برقم ١٧٩٢).

(٢) رواه مالك ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وأوّله : « إنّ الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم . . . » .

(٣) رواه أحمد في المسند من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وإسناده صحيح ، ورواه أيضاً النّسائي في عمل اليوم والليلة (٩٨٨) بلفظ « أجعلتني لله عدلاً » أنظر ( فتح المجيد شرح كتاب التوحيد بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط ص ٥٠٥) و ( زاد المعاد بتحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط : ٢/ ٣٥٣ )

(٤) رواه أبو داود ، وأحمد ، من حديث حذيفـــــة ، وإسناده صحيح ( زاد المعاد: ٢/ ٣٥٣) .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، من حديث عمر رضي الله عنه ( شرح السنة للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط : ١٣/ ٢٤٦ برقم ٣٦٨١ ) والإطراء : مجاوزة الحدّ في المدح والكذب فيه .

بعَبْده . . ﴾(١) ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْده . . ﴾ (٢) ﴿ الحَمْدُ للَّه الَّذى أَنزَلَ عَلَى عَبْده الكتَابَ . . ﴾ (٣) ﴿ فَأَوْحَى إلَى عَبْده مَا أَوْحَى ﴾ (٤) .

وهذا هو ما يفتخر به ﷺ ، أنه عبدٌ لله .

لم يسمح لأحد أن يغلو فيه ، ولمّا جاء بعض النّاس وقالوا له : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيّدنا وابن سيّدنا ، قال : « يا أيها الناس قولوا بقولكم ، ولا يستهوينّكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحبّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزّ وجلّ » (٥) .

ومن الشرك الأصغر : النّذر لغير الله (٦) ، والذبح لغير الله (٧) ، والرّقى (٨)، والتمائم (٩) ، والتوّلة (١٠) ، وغير ذلك (١١) .

---

(١) الاسراء : ١ . (٢) الفرقان : ١ . (٣) الكهف : ١ . (٤) النجم : ١٠

(٥) رواه النّسائى عن أنس رضي الله عنه بسند جيّد(حقيقة التوحيد للقرضاوي)ص٦٣٠وانظر( عمل اليوم والليلة بتحقيق فاروق حماده، الأحاديث: ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩ ) .

(٦) قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَة أَوْ نَذَرْتُم من نَّذْر فَإنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ ، وَمَا للظَّالمينَ منْ أَنصَار ﴾ ﴿ البقرة : ٢٧٠ ﴾ . وفي الحديث : « من نذر أنْ يطيع الله فليطعه ، ومَن نَذر أن يعصيَ الله فلا يعصيه » رواه البخاري وغيره .

(٧) قال تعالى : ﴿ قُلْ إنَّ صَلاَتى وَنُسُكى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتى للهِ رَبِّ العَالَمينَ * لاَ شَريكَ لَهُ ، وَبذَلكَ أُمرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلمينَ ﴾ ( الأنعام : ١٦٢-١٦٣ ) . والنسك : الذبح بقصد التقّرب ، وفي الحديث عن عليّ رضي الله عنه : حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات - وذكر أوّلها - : « لعن الله من ذبح لغير الله » رواه مسلم .

(٨) التي تسمّى ( العزائم ) وهي عبارة عن كلمات وتمتمات كان يتعاطاها أهل الجاهليّة معتقدين أنّها تدفع عنهم الآفات ، مستعينين بالجنّ أو مردّدين بعض الألفاظ الأعجميّة أو غير المفهومة ، فجاء الإسلام فأبطل ذلك ، إلاّ ما ذُكر فيه أسماء الله وصفاته وآياته والمأثور عن النبي ﷺ فهذا حسن .

(٩) جمع تميمة ، وهي خرزات كان العرب يعلّقونها وخاصّة على الأولاد زاعمين أنّها تدفع عنهم الجنّ أو تقيهم العين ونحوها ، فأبطلها الإسلام ، ومن هذه التمائم مايسمّى (الجامعة) أو ( الحرز ) أو ( الحجاب ) أو ما شابه ذلك ، فكلّ ذلك من كبائر المنكرات ، لكن إذا كان المعلّق من القرآن فرخّص فيه بعض السلف ، وانظر : كتاب الشيخ القرضاوي :« موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن الكهانة والتمائم والرقى » نشرته مكتبة وهبة .

(١٠) شيىء يصنعونه يزعمون أنّه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته ، وهي ضرب من السحر ، وفي حديث ابن مسعود : « إنّ الرّقى والتمائم والتّولة شرك » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه ، والحاكم وصححّه ، ووافقه الذهبى ( فتح المجيد شرح كتاب التوحيد بتحقيق الأرناؤوط ) ص ١٣٣ .

(١١) هناك ألوان أخرى من الشرك الأصغر ذكرها الأستاذ القرضاوي في رسالته الوجيزة النافعة : « حقيقة التوحيد » التي نشرتها مكتبة وهبة بالقاهرة .

كلّ هذه ضروب من الشرك لا ينبغي للمسلم أن يقع فيها ، وقد حذّرنا النّبيّ ﷺ منها .

جاء الإسلام يدعو إلى التوحيد ، وإلى التحرّر من الشرك أكبره وأصغره ، وجليّه وخفيّه ، وذلك ليكوّن الشخصيّة المتزنة . . الشخصيّة السّوية . . الشخصيّة التي لاترجو إلاّ الله ولا تخاف إلاّ الله .

المشرك يخاف من كلّ شيىء ويخاف على كلّ شيىء ، والمؤمن الذي وحّد الله تعالى لا يخاف من شيىء ، سدّ منافذ الخوف كلّها ، فلم يعد يخاف إلاّ ربّه ، حتى الموت لا يخاف منه ، لأنّه يعلم أنّ بعد الموت حياة أخرى يلقى فيها ربّه ، ويُخلّد فيها في عمله ، ولا يخاف على الرزق ولايخاف على الأجل ، لأن الرزق مضمون والأجل محدود : ﴿ . . . فَإِذا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ، وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١) .

ومن هنا كان التوحيد مصدر الأمان النفسيّ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ( أى لم يشوبوا توحيدهم بشرك ) أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢) ، أي : لهم الأمن في الدنيا والاهتداء ، ولهم في الآخرة كذلك .

علي حين قال الله تعالى عن المشركين : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً ، وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ، وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

التوحيد تحرير للنّفس ، فلا تذلّ لغير الله ، ولا تعتز إلا بالله وحده . ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ . .﴾ (٤) ، ﴿ مَنَ كَانَ يُرِيدُ الْعِزةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا . . ﴾ (٥) .

التوحيد سموّ بالإنسان ، وارتفاع به عن حضيض الأرض إلى الأفق الأعلى ، أمّا الشرك فهو انحطاط بالإنسان ، ينحطّ الإنسان ليعبد إنساناً مثله ، أو ليعبد أشياء سُخرّت من أجله ، يعبد أشياء لا تضرّ ولا تنفع ، يعبد أشياء لا تُبصر ولا تسمع ، يعبد أشياء لاتعي ولا تعقل .

انظروا إلى ذلك الذي ينحت الحجر بيده ثمّ يتوجّه إليه راجياً خائفاً خاشعاً

---

(١) الأعراف : ٣٤ ، النحل : ٦١ . (٢) الأنعام : ٨٢ . (٣) آل عمران : ١٥١ .
(٤) المنافقون : ٨ . (٥) فاطر : ١٠ .

متضرِّعاً ! كما قال ابراهيم عليه السلام لقومه : ﴿ . . أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعمَلُونَ ﴾ (١) .

انظروا إلى ذلك الذي يعبد الحيوان الذي سُخِّر لمنفعته ، ويقدّس الأنعام التي تخدمه وهى صحيحة ، ويأكلها وهي ذبيحة !

كنت في الأسبوع الماضي في الهند ، فرأيتهم كيف يقدّسون الأبقار التي لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها - ضرًّا أو نفعاً أو موتاً أو حياة .

والعجيب أنّهم يُؤلّهون البقرة ولا يُؤلّهون الجاموسة ، والجاموسة أنفع منها ، وأكثر لبناً ، ويُؤلّهون الأنثى ولا يُؤلّهون الذكر ، الأنثى تُقدَّس وتُعبَد ، والثور يُضرب ويُهان ويُستخدم في حمل الأثقال وغير ذلك .

ما الذي جعل هذه إلهاً وذلك ليس بإله ؟ ! وما الذي جعل البقرة إلهاً والجاموسة ليست بإله ؟ ! شيء عجيب !!

هناك وجدنا من يعبد الثعابين ، ومن يعبد النّمل ، ومن يعبد الشيطان ، وهناك من يعبد الفرج ، ومن يعبد الحشرات !!

الشرك أذلّ الإنسان وانحطّ به ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ . . وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٢) .

والشرك وكرٌ للخرافات ومباءة للأضاليل ، يجعل الإنسان أسير الأوهام ، ويصبح زمامه بيد أولئك الكهّان الذين يبيعون فيه ويشترون ، ويسوقونه أو يقودونه كما تُساق أو تُقاد الأنعام .

أولئك الكهنة وسدنة الأصنام وخدمتها ، يتحكّمون في أولئك الناس ،إذا قالوا لهم شيئاً سمعوا وأطاعوا ، وهذا هو الشرك ، وهذه هي العبوديّة ، عبوديّة الإنسان للإنسان !

جاء الإسلام ليحرّر الإنسان من هذا الوهم ، ويجعله مع الله مباشرة ، ليست هناك وساطة بين الله وعباده ، ليس هناك سماسرة محتكرون لهذه الوساطة ، تستطيع أن تقرع باب ربّك في أيّ وقت وتدعوه بما تشاء ، فيقول لك: لبيك وسعديك ، تستطيع أن تصلّي في أيّ بقعة من الأرض :

---

( ١ ) الصَّافَّات : ٩٥ ، ٩٦ .  ( ٢ ) الحجّ : ٣١ .

« وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهورا » (١) ، تستطيع أن تؤدّي عبادتك وأنت متحررٌ من رقّ الكهنوت .

جاء الإسلام ليحررّنا من العبوديّة لغير الله تبارَك وتعالى ، وهذه مزيّة عباد الرحمن ، أنهّم : « لا يدعون مع الله إلهاً آخر » أيًّا كان هذا الإله ، تحرّروا من كل الوثنيات : الوثنيّة الدينيْة ، والوثنيّة الاقتصاديّة ، والوثنيّة الاجتماعيّة .

( أ ) **الوثنيّة الدينيّة** : اتخاذ آلهة أخري ، سواء كانت وثنيّة كُبري أو وثنيّة صغرى، وثنيّة ملحوظة أو وثنيّة غير ملحوظة .

قد يقول بعض الناس : نحن لا نعبد هؤلاء ، ولكن إذا كنت تتوجّه إلى صاحب الضريح وتستغيثه وتبتهل إليه ، وتخاف منه أكثر ممّا تخاف الله (٢) ، فهذا من الوثنيّة.

لا يجوز للمسلم أن يستغيث بوليّ أو صاحب ضريح ، إنما عليه - إن كان مسلماً- إذا زار قبراً من هذه القبور أن يقول : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنّا إن شاء الله للاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العافية » (٣) ، فهو يدعو لهم وليس يدعوهم ، هذا منطق الإسلام .

أمّا أن تدعوهم وأنت لا تعرف إن كانوا من أهل الجنّة أم من أهل النّار ، لأنك لاتدري شيئا عن خواتيم العباد ، لا يستطيع إنسان أن يجزم أنّ صاحب هذا القبر قد خُتم له بالإيمان ، وهو في الجنّة .

ولّما مات عثمان بن مظعون - وهو من السابقين الأوّلين الذين دخلوا في الإسلام وأوذوا في سبيله وهاجروا من أجله - قالت أمّ العلاء الأنصـــــاريّة : رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك : لقد أكرمك الله ، فقال النبي ﷺ : « مَنْ هذه المتألية

---

(١) قطعة من حديث جابر المتفق عليه ، ورواه أيضاً النّسائي ، ونصّه : « أعطيت خمساً لم يعطهنّ أحد من الأنبياء قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا ، فأيّما رجل من أمّتي أدركته الصلاة فليصلّ ، وأحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة وبُعثت إلى النّاس عامّة » : ( الجامع الصغير للسيوطي : ١/ ٤٦-٤٧ ) وشرحه:(فيض القدير للمناوي:١/ ٥٦٦-٥٦٨ برقم١١٧٤ ) .

(٢) بعض النّاس يُقسم بالله كاذباً ويخشى أن يقسم بالشيخ أو بالولي!!

(٣) حديث صحيح ، أخرجه مسلم في كتاب ( الجنائز ) باب ( ما يُقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ) . أنظر : ( صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ٤٥) ط . دار الفكر .

على الله تعالى ؟ وما يدريك أنّ الله أكرمه ؟ والله ما أدري - وأنا رسول الله - ما يُفعل بي ؟ » قالت : فوالله لا أزكّي بعده أحداً أبداً (١) .

فلم يرض النّبيّ ﷺ أن تقول الصحابيّة : ( فشهادتي عليك : لقد أكرمك الله) بهذا الجزم ، لأنّها صيغة قسم ، ومن أين تعلم أنّ هذا قد خُتم له بالجنّة ؟ العشرة المبشّرون بالجنّة - وأمثالهم - هم الذين نشهد لهم بالجنّة ، وما عدا ذلك فكلّ إنسان مصيره إلى الله .

ثم لماذا تطلب من غيرك وهو مثلك عبد ومخلوق ؟! هل يسأل ( الشحّاتُ ) ( الشحّاتَ ) ؟!

اسأل صاحب الخلق والأمر ، اسأل صاحب الخزائن التي لا تنفد : « . . إذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . . » (٢) .

**(ب) الوثنيّة الاقتصاديّة** : عبادة المال ، عبادة الدينار والدرهم ، كما جاء في حديث البخاري : « تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة » (٣) وزاد في رواية : « وعبد القطيفة »(٤) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه عن أمّ العلاء الأنصاريّة في عدّة مواضع : في الجنائز والشهادات ، وفضائل الصحابة والتعبير ، وهو مع قوله تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ، وَمَا أَدرِى مَا يُفْعَلُ بى وَلَآ بِكُمْ . . ﴾ (٩) ، وهذا قبل أن تنزل سورة الفتح وفيها : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . . ﴾ (٢) فالأحقاف مكية ، والفتح مدنيّة باتفاق .

(٢) قطعة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ونصّه كاملاً : قال : كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال : « يا غلام ، إنّي أعلّمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجَفت الصحف » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وهو الحديث التاسع عشر من الأربعين النوويّة .

(٣) بفتح الخاء : ثوب مُعَلّم من خزّ أو صوف .

(٤) هي كساء له خمل يجعل دثارا ، والحديث رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه وتتمته : « إن أُعطي رضي ، وإن لم يُعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرّة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يُؤذن له ، وإن شفع لم يُشفّع » . وانظر تعليق الشيخ القرضاوي على الحديث في كتابه ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٣٦٨-٣٦٩ برقم ٦٥٨ ) .

هناك أناس أشركوا مع الله المال ، فهم يلهثون وراءه ، يستحلّون من أجله كلّ حرام ، ويرتكبون كل موبقة ، هؤلاء عبيد المال .

**(ج) الوثنيّة الاجتماعيّة ( أو الوثنيّة السياسيّة )** : إذا كان هناك من يعبدون القبور، فهناك من يعبدون القصور ، شرك العوام تأليه الأموات ، وشرك الخواص تأليه الأحياء ! طاعتهم طاعة مطلقة ، إعطاؤهم حقوق الألوهيّة من التعظيم والتقديس والخوف والرجاء .

وكلّ ذلك وثنيّة .

إذا كنت عبداً لله حقا فلا تؤلّه غير الله ، ولا تلتفت بقلبك إلاّ إلى الله ، لا يملك أحد لك ضرًّا ولا نفعاً ، ولا حياة ولا موتا ، ولا يستطيع مخلوق أن يقدّم لك أجلاً ، أو ينقص لك رزقا : « . . واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف »(١) .

التوحيد الحقيقي يجعل من المسلم شخصيّة قويّة ، تقف عند الحقّ ، وتتشبّث به ، وتجادل دونه ، وتدافع عنه، وتبذل من أجله المال والنفس والنفيس ، والغالي والرخيص، وهذا هو الذي تقوم به النهضات ، وتنتصر به الرسالات ، ويرتفع به شأن الأمم .

المؤمنون الموحّدون الأقوياء هم الذين أخلصت قلوبهم لله ، وتحرّرت له ، فلم يعد هناك أرباب أخرى ، كما قال يوسف عليه السلام لأصحابه في السجن : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٢) أتعبد عدداً من الآلهة أم إلهاً واحداً قهّارا ؟! .

الذين يعبدون الآلهة المختلفة تتوزّع قلوبهم رغبات مختلفة ، وأهواء مختلفة ، لايدري أيّهم يُرضي وأيّهم يُسخط ، كما ضرب القرآن لنا مثلاً : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ (٣).

إنّه مثل واضح : عبد له سيّد واحد عرف ما يرضيه وما يسخطه ، فلزم رضاه ففاز بقربه ومحبّته ، وعبد له أسياد مختلفون ، وهم شركاء متشاكسون ، هذا يأمره أن

---

(١) جزء من حديث ابن عباس السابق : « يا غلام إنّي أعلمك كلمات . . . » .
(٢) يوسف : ٣٩ . (٣) الزمر : ٢٩ .

يذهب إلى الشرق وهذا إلى الغرب ، فلا يدري من يُرضي ومن يُسخط ، ومن يطيع ومن يعصي .

هذا فرق ما بين الموحّد والمشرك ، ما بين المؤمن وغير المؤمن ، ما بين عبد الرحمن وعبد غير الرحمن .

عباد الرحمن حرّروا أنفسهم من كل آلهة سوى الله ، فلا يدعون مع الله إلهاً آخر ، وهكذا ينبغي أن يكون المسلم ، وهكذا ينبغي أن نكون .

نسأل الله عزّ وجلّ أن يجعلنا من الذين أخلصهم الله لدينه ، وأخلصوا دينهم لله .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* *

## • الخطبة الثانية :

أمّا بعد :

فقد ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة ، لا يوافقها عبدٌ مسلم يدعو الله بخير إلاّ استجاب له ، ولعلّها تكون هذه الساعة .

اللّهمّ إنّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا ، وأهلينا وأموالنا ، اللّهمّ استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا ، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا .

اللّهمّ أكرمنا ولا تهنّا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وزدنا ولا تنقصنا ، وآثرنا ولا تُؤثر علينا ، وارض عنّا وأرضنا .

﴿ . رَبَّنَا آتنَا فى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفى الآخرَة حَسَنَةً وَقنَا عَذَابَ النَّار ﴾ (١) .

﴿ . . رَبَّنَا اغْفرْ لَنَا وَلإخْوَاننَا الَّذينَ سَبَقُونَا بِالإيمَان وَلاَ تَجْعَلْ فى قُلُوبنَا غلاًّ للَّذينَ آمَنُوا رَبَّنَا إنَّك رَؤُوفٌ رَّحيمٌ ﴾ (٢) .

اللّهمّ انصر الاسلام وأعزّ المسلمين ، اللّهمّ اجعل كلمة الاسلام هي العليا ، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى .

اللّهمّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام أيًّا كانوا ، اللّهمّ ردّ عن المسلمين كيدهم ،

---

(١) البقرة : ٢٠١ . (٢) الحشر : ١٠ .

وفلّ حدّهم ، وأذهب عن أرض المسلمين سلطانهم ، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين .

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾ (١) .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

وأقم الصلاة .

* * *

(١) آل عمران : ١٤٧ . (٢) الأحزاب : ٥٦ .

# صفات عباد الرحمن

## ٧ - اجتناب القتل واحترام الحياة

● **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

لا زلنا نعيش مع ( عباد الرحمن ) ، ولا زلنا نعيش في رحاب القرآن ، مع هذه الطائفة الراضية المرضيّة ، الذين أثنى الله تعالى عليهم في كتابه ، وذكرهم لنا نموذجاً يُحتذي ، ويُقتدى به فيهتدى .

ووقفنا في أوصافهم عند قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (١) .

إنّهم لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، بل لا يدعون إلاّ الله وحده ، ولا يعبدون إلاّ الله وحده ، ولا يستعينون إلاّ بالله وحده ، شعارهم : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢) .

بهذا حافظوا علي الهدف الأول من رسالات الله إلى خلقه ، وهو : العقيدة . . الإيمان .

ولكن الرسائل السماويّة والشرائع الإلهيّة ،لم تأت لحفظ الدين والعقيدة فحسب ، إنما جاءت لحفظ الدماء والأنفس ، ولحفظ الأعراض والحرمات ، ولحفظ العقول ، ولحفظ الأنساب ، ولحفظ الأموال .

فمن هنا قرن الله هذه الصفة بصفة أخرى فقال : ﴿ . . وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ . . ﴾ (٣) .

والقرآن قرن القتل بالشرك لبشاعة هذه الجريمة وفظاعتها ، الشرك اعتداء على

---

(١) الفرقان : ٦٨ . (٢) الفاتحة : ٥ . (٣) الفرقان : ٦٨ .

الدين ، والقتل اعتداء على الحياة ، ومن أنت أيّها الإنسان حتى تعتدي على حياة غيرك؟ هذه الحياة وديعة أودعها الله تعالى لصاحبها ، فكيف تسلبها من غيرك ؟! هل تستطيع أن تخلق ذبابة أو بعوضة حتى تستحلّ قتل نفس مؤمنة بغير حق ؟! هل تستطيع أنت أن تُودع الروح في أدنى مخلوقات هذه الأرض ؟! كيف تجرؤ على قتل نفس وسفك دم ؟!

لقد جاء الدين يحرّم سفك الدماء ، ولا يجيز للإنسان أن يعتدي على إنسان بغير حق ، ولماذا يقتل النّاس النّاس ؟ لماذا يقتلون الأنفس المعصومة ؟ والنفس المعصومة هي نفس الإنسان المسلم ، أو نفس الإنسان المعاهد .

من كان يقول : ( لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ) فقد عُصم دمه وماله إلاّ بالحق ، ومن عاهد المسلمين بعقد ذمّة أو هدنة من سلطان مسلم ، أو إجارة من مسلم ، فلا يجوز أن يُعتدى عليه .

هذه هي النفس المعصومة فلا يجوز قتلها .

بل كلّ من سالم المسلمين وألقى إليهم السَّلَم وكفّ يده عنهم ، فلا يجوز قتله ، كما قال تعالى : ﴿ . . فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ (١) .

ولكن الناس من قديم الزمان سوّلت لهم أنفسهم الأمّارة بالسوء أن يقتل بعضهم بعضا ، من أجل دنيا تافهة ، أو من أجل غضب طارىء ، أو من أجل حسد أو كراهية أو بغضاء ، أو تنافس على عرض من أعراض هذه الحياة ، أو لغير ذلك .

حين كان النّاس أسرة واحدة من أب وأمّ وأولادهما حدثت هذه الجريمة البشعة ، قتل ابن آدم أخاه من قديم الزمان كما قصّ علينا القرآن : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ، قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ ، قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ [ ثمّ خوّفه وهدّده ] * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ [ ولكن لم ينفع فيه اللّين ولا التهديد ] * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) النساء : ٩٠ .  (٢) المائدة : ٢٧-٣٠ .

في فجر البشريّة . . في فجر الحياة ، حيث لم يكن يعرف الإنسان كيف يواري جثّة أخيه الإنسان ، فهذه أوّل جريمة تقع على وجه الأرض ، حتى بعث الله غراباً يُعلّم الإنسان كيف يواري سوأة أخيه .

من قديم الزمان تعلّم الناس العدوان ، من قديم الزمان عرف الناس الشرّ ، ووُجد في الناس الشرّير الذي يقتل أخاه بغير ذنب جناه ، ووُجد في النّاس الطيب الوديع المسالم الذي يقول لأخيه : « لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلنّك إنّي أخاف الله ربّ العالمين » ، ووُجد الذي طوعت له نفسه الأمّارة بالسوء قتل أخيه فقتله .

ولم يكن هناك مجتمع يهيىّء له أسباب الجريمة ، كما يقول الذين يزعمون أنّ المجرمين - كلّ المجرمين - ضحايا المجتمع ، وأنّ المجتمع هو الذي يصنع المجرم ، ويدفعه للجريمة !!

ولكن ظلم الإنسان للإنسان قديم ، وأنّى ظلم أكبر من الإعتداء على الحياة ؟

غضب الرسول الكريم على هذه الجريمة فقال : « لا تقتل نفس ظلما إلاّ كان على ابن آدم الأوّل كفل منها ، لأنّه أوّل من سنّ القتل » (١) .

وعقب القرآن عليها فقال : « مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا . . » (٢) .

الإسلام لا يجيز للمسلم أن يقتل المسلم : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا . . ﴾ (٣) .

استبعد القرآن كلّ الاستبعاد أن يقتل المؤمن أخاه المؤمن ، إلاّ أن يقع ذلك خطأ منه وبغير قصد ، وجعل في ذلك الدّية والكفّارة :

دية مسلّمة إلى أهله .

وكفّارة : عتق رقبة . فكما قتل إنساناً يحاول أن يحي إنساناً آخر ، واعتبر القرآن

---

(١) رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن مسعود ، كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٧٣٨٧) .

(٢) المائدة : ٣٢ . (٣) النّساء : ٩٢ .

تحرير الرقبة بمثابة الإحياء ، لأنّ العبوديّة بمثابة الموت الأدبي ، والحرّيّة بمثابة حياة جديدة.

ومن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ، وهذا هو المتيسرّ في هذا الزمن.

الذين يقتلون خطأ بسيّاراتهم ، بعضهم يظنّ أنّه يكفيه أن يدفع الدية ، أو تدفع شركة التأمين الدية ولا شيىء عليه بعد ذلك ، لا ، عليه أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ، لو أفطر - بعد شهر أو بعد سبعة وخمسين يوما - قبل أن يتمّ الشهرين ، عليه أن يعيد من جديد ، حتى لا يستهتر بأرواح النّاس .

وبعض الذين يفعلون هذا ربّما لا يُعتبر قتلهم خطأ ، من أمثال هؤلاء المتهوّرين المجانين ، الذين يسيرون في الشوارع كأنّما يستعرضون عضلاتهم ، هؤلاء الذين لايمشون على الأرض هونا بسيّاراتهم شأن عباد الرحمن ، هؤلاء الذين يقتلون الناس ويزهقون الأرواح ، لا أظنّ قتلهم خطأ ، ولا يُعتبر من باب الخطأ ، إنّما هو من باب التعدّي ، ويجب أن يُعاقبوا عقوبة أخرى فوق عقوبة القتل الخطأ .

لماذا يقتل المؤمنُ المؤمنَ ؟!

هل في هذه الحياة ما يستحق أن يقتل المسلم أخاه المسلم من أجله ؟!

هذه الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة ، فكيف يقتل الإنسان من أجلها أخاه المسلم ؟! والمفروض فيه أن يحميه ويدافع عنه ويبذل نفسه من أجله ، فكيف يقتله ؟!

ومن هنا يقول القرآن : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

أنظروا إلى هذه الأجزية الكبيرة . . إلى هذه العقوبات الضخمة :

١- « فجزاؤه جهنّم » .

٢- « خالدًا فيها » .

٣- « وغضب الله عليه » .

٤- « ولعنه » .

٥- « وأعدّ له عذاباً عظيما » .

---

(١) النساء : ٩٣ .

جهنّم والخلود فيها والغضب واللعنة من الله والعذاب العظيم .

وقال النبي ﷺ فيما رواه النّسائي والترمذي : « لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم » (١) . ،وجاء في حديث آخر : « لو أنّ أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبّهم الله في النّار » (٢) ، . وروى ابن ماجه أنّ النبي ﷺ طاف بالكعبة فقال : « ما أطيبك وأطيب ريحك ! ما أعظمك وأعظم حرمتك ! والذي نفسي بيده لحرمة المؤمن (٣) ،أعظم حرمة منك : ماله ودمه وأن نظنّ به إلاّ خيرا » (٤) ، وقال ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » (٥) . وقال : المؤمن : من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم » (٦) .

فكيف يسوغ - بعد هذه النصوص المحكمات - في عقل إنسان مسلم وفي ضميره وفي دينه أن تمتدّ يده بالإثم ليقتل إنساناً بغير حق ؟!

في حديث ابن مسعود الذي رواه البخاري وغيره : « أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء » (٧) ، أي أنّ أوّل ما يُحاسب عليه الناس في المحكمة الإلهيّة يوم القيامة : الدماء . . الأنفس ، وما ذلك إلاّ لخطرها وعظم أمرها .

ويرى عدد من الصحابة وعلماء السلف أنّ القاتل لا توبة له لشدّة جرمه ، وذلك

---

(١) رواه النسائي ، والترمذي ، من حديث عبد الله بن عمرو ، وروى ابن ماجه نحوه من حديث البراء بن عازب ، بإسناد حسن ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٦٦٥ ، الحديث ١٤٤٦ ) .

(٢) رواه الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة وقال : هذا حديث غريب ، وله شواهد عند البيهقي والطبراني والأصفهاني ، وقد ذكرها كلّها المنذري ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٦٦٥ برقم ١٤٤٧ ) وقد ذكره في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥٢٤٧) .

(٣) أي : حرمة دمه وماله وعرضه .

(٤) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن عن عبد الله بن عمرو (٣٩٣٢) وقال في الزوائد : في إسناده مقال : نصر بن محمدّ - شيخ ابن ماجه - ضعّفه أبو حاتم ، وذكره ابن حبان في الثقات .

(٥) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة ، كما في صحيح الجامع الصغير (٧٢٤٢) .

(٦) رواه ابن ماجه وأحمد وابن حبان والحاكم عن فضالة بن عبيد ، المصدر السابق (٦٦٥٨) .

(٧) رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنّسائي ، وابن ماجه ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٦٦٤ برقم ١٤٤٤ ) .

لما روى بعضهم : « لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصب دماً حراماً » (١) ، أي يضيق عليه دينه ، أو يضيق عليه ذنبه ، كما فى بعض الروايات .

وروى معاوية عن النبي ﷺ : « كلّ ذنب عسى الله أن يغفره ، إلاّ الرجل يموت كافرا ، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمّدًا » (٢) .

كل ذنب عسى الله أن يغفره إلاّ هذين الذنبين : ذنب الشرك والموت على الكفر ، وقتل امرىء مؤمن بغير حق ، ويلحق به أن يساعد على قتله ، بل روى ابن ماجه أنّ النبي ﷺ قال : « من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة ، لقي الله مكتوب بين عينيه : آيس من رحمة الله » (٣) . ، قال سفيان بن عيينة - راوي هذا الحديث - : بشطر كلمة : أن يقول له ( أقـ ) يعني لا يكمل الكلمة ( أقتل ) ، فكيف بمن قتل ؟!

لقد حذّر رسول الله ﷺ الأمّة من بعده أن يرتدّوا إلى عصر الجاهليّة الجهلاء ، فيعادي بعضهم بعضا ، ويقتل بعضهم بعضا بغير حق ، فقال في حجّة الوداع أمام الجماهير المؤمنة بعد أن أمر باستنصات الناس : « لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » (٤) .

وفي رواية : « ويلكم - أو ويحكم - لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » (٥) .

فاعتبر هذا من شأن الكفار لا المسلمين : أن يضرب بعضهم رقاب بعض ، كما صحّ عنه قوله عليه الصلاة والسلام : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » (٦) .

هناك أناس يجترئون على قتل الأنفس ، ولم يُبح الله قتل النفس إلاّ في حالات ثلاث ، كما في حديث ابن مسعود في الصحيحين : « لا يحلّ دم امرىء يشهد أن لا إله

---

(١) رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٦٦٤ - ٦٦٥ برقم ١٤٤٥ ) .

(٢) رواه النسائي ، وأبو داود ، وابن حبان ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٦٦٦ ، الحديث ١٤٤٨ ) .

(٣) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ورمز له السيوطي بعلامة الضعف (الجامع الصغير : ٢/ ١٦٥) وانظر : ( فيض القدير للمناوي : ٦/ ٧٢ برقم ٨٤٧١ ) .

(٤) متفق عليه عن جرير ، كما في اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٤٤) .

(٥) متفق عليه عن ابن عمر ، المصدر السابق (٤٥) .

(٦) متفق عليه عن ابن مسعود ، نفسه (٤٣)

إلاّ الله وأنيّ رسول الله ، إلاّ بإحدى ثلاث : الثيّب الزاني ، والنفس بالنفس [1] ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » [2] .

**الثيّب الزاني** : الزاني المحصن ، من زنى وهو متزوّج ، وثبت عليه الزنا ، أي رآه أربعة من الشهود عياناً بياناً وهو يرتكب الفاحشة ، أو اعترف على نفسه أمام قاضى شرعيّ أربع مرّات ، فهذا يستحق القتل ، وليس القتل عقوبة على مجرّد الزنا ، ولكن على المجاهرة به إلى حدّ أن يراه أربعة من الناس .

والعقوبة هنا حقّ الإمام . . . حقّ وليّ الأمر ، فلا يجوز للفرد أن يجعل نفسه خصماً وحكماً ، يأخذ سلطة الاتهام وسلطة القضاء وسلطة التنفيذ ، يعاقب كما يشاء .

بعض الناس قتل ابنته البكر ، التي غرّها غارٌ أو لعب بها شيطان فارتكبت الفاحشة ، مع أنّ الشرع لم يعط الأقارب حقّ العقوبات .

الذين يفعلون ذلك لم يفعلوه غيرةً على حرمات الله ، لأنّ هؤلاء إذا زنى أبناؤهم الذكور سكتوا عنهم ، وإذا زنت بناتهنّ قتلوهنّ !

فهل الزنا حلال للرجال حرام على النساء ؟! الزنا حرام على الذكر والأنثى ، إذاً فهي غيرة تقليديّة وليست غيرةً دينيّة .

والزنا في حدّ ذاته لا يستحق القتل ، إنّما الزنا الذي يستحقّ القتل هو ما كان بالشروط التي ذكرتها ، فلا يجوز للأب أن يقتل ابنته البكر إذا زنت ، لأنّ عقوبتها في الشرع هي الجلد ، وذلك لو ثبت عليها الزنا ثبوتاً قضائياً ، وليس هذا بيسير ، وإذا لم يجز للأب ، فمن باب أولى : لا يجوز للأخ أو غيره من العصبات ، كما لا يجوز للمرء أن يجعل من نفسه قاضياً ويقتل في جرائم لا تستحقّ القتل .

رأى رجل امرأته تسير مع رجل آخر فقتلها ، وهو لا يعلم إن كانت ارتكبت الفاحشة أو لم ترتكب ، ثمّ أحرق جثّتها ودفنها ، وقال : قد ماتت بالسكتة القلبيّة !

مشيها مع رجل أجنبيّ إثم وجريمة ولا شكّ في هذا ، بل لا يجوز أن تخرج من

---

(١) من قتل عمداً يقتل قصاصاً ﴿ وَلَكُمْ فى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [ البقرة ١٧٩] قال البغوي : أراد أنّ القاتل إذا علمَ أنّه إذا قتل يُقصّ منه ، كَفّ عن القتل ، ففيه حياته وحياة المقصود قتله ( شرح السنة للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط : ١٠/١٥٨) .

(٢) متفق على صحّته من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ( شرح السنة : ١٠/١٤٧ برقم ٢٥١٧) .

بيت زوجها بغير إذنه ، فضلاً عن أن تخرج مع رجل أجنبيّ ، فهي مجرمة وخائنة ولاشك ، ولكنّ الشرع لم يعطه حقّ قتلها إلاّ إذا وجده معها في فراشه ، فدفعته الغيرة أن يفعل ذلك كما قال سعد بن عبادة رضي الله عنه (١) .

**والأمر الثاني الذي يبيح قتل النفس المحرمة هو : القتل العمد** ، فالنفس بالنفس، من قتل يُقتل ، وإذا عرف أنّه سيقتل كفّ - غالباً - عن القتل ، فحفظت بذلك حياته وحياة من يريد قتله ، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

وفي القصاص من القاتل المتعدي المتعمّد شفاء لأنفس أولياء الدم ، حتى لا يفكروا في الثأر لقتيلهم ، ويقتلوا بالواحد اثنين أو أكثر ، وربما قتلوا بدل القاتل ابنه أو أخاه وهو لم يقتل ، كما يحدث في صعيد مصر،وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّى الْقَتْلِ ، إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ (٣) ، ومن حقّه أن يمكنّه وليّ الأمر من قتل القاتل بعد أن يحكم عليه القضاء ، وليس من حقّه أن يكون هو الخصم ،الحكم والمنفّذ. كما أنّ من حقّه أن يعفو أو يقبل الصلح بمال ، كما قال تعالى : ﴿ . . فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ، ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (٤) .

وممّا يُؤسف له أن نجد الغربيّين اليوم ينكرون شريعة القصاص ، ويزعمون أنّنا بالقصاص نخسر اثنين بدل واحد ، وينسون أنّنا بقتل الواحد نحفظ دماء الكثيرين ، ولا نجرّىء الناس على القتل ، وهكذا نراهم يرأفون بالجاني وينسون الضحيّة ، ويهتمّون بالفرد وينسون أمن المجتمع .

**والأمر الثالث المبيح للقتل : هو ترك الدين ومفارقة الجماعة** ، بمعنى : أن يرتدّ المسلم عن دينه ، ويخرج على جماعته ، وينضمّ إلى جماعة أخرى مخالفة لها ،

---

(١) وقد قال سعد : لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح ، فقال النبي ﷺ : « أتعجبون من غيرة سعد ؟ لأنا أغير منه ، والله أغير منّي » رواه البخاري في كتاب النكاح ، باب : الغيرة ، أول الباب . أنظر ( البخاري مع الفتح : ٩/ ٢٣٠ برقم ١٠٧) ط . دار الريان للتراث بالقاهرة .

(٢) البقرة : ١٧٩ . (٣) الإسراء : ٣٣ . (٤) البقرة : ١٧٨ .

يعطيها ولاءه ، ويعادي جماعته الأصيلة ، فهذا أشبه بما يسمّى في عصرنا ( خيانة الأمّة والوطن ) ، ولا يعاقب بذلك من ارتدّ في نفسه ولم يجاهر بردّته ، ويدع الآخرين إلى مسلكه ، فهذا حسابه على الله .

ولا بدّ أن يُستتاب المرتد ، ويُناقش بالحكمة ، وتُزال عنه الشبهة التي دعته إلى الردّة ، ويُرفق به ، ما لم تكن ردّته من النوع الغليظ المثير ، ولا سيما إذا استعان بأعداء الإسلام على أمّته (١) .

القتل مسألة كبيرة ، فلا يجوز للنّاس أن يُقدموا عليه إلاّ بمحكمة . . بقضاء ، يدافع فيه كلّ إنسان عن نفسه ، ثمّ يُقضى له أو عليه .

الإسلام حرّم سفك الدماء ، سواء دم المسلم أو دم غير المسلم إذا كان بينه وبين المسلمين عهد وميثاق : ﴿ . . وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ . . ﴾ (٢) ، وجاء في حديث البخاري عن عبد الله بن عمرو أنّ النبي ﷺ قال : « من قتل مُعَاهَدًا لم يَرَحْ رائحة الجنّة [ أي لم يشمّ رائحتها ] وإنّ ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما » (٣) .

هذا بالنسبة للإنسان المعاهد وليس بمسلم ، فكيف بالمسلم ؟!

حتّى في الحروب المشروعة لم يجز الإسلام قتل من لا يقاتل ، مثل المرأة والطفل والشيخ الكبير ، بل كان الخلفاء الراشدون ينهون القادة العسكريّين أن يقتلوا الرهبان الذين فرّغوا أنفسهم للعبادة ، وقد روى ابن عمر أنّ النّبيّ ﷺ وجد في بعض المغازي امرأة مقتولة ، فأنكر رسول الله قتل النّساء والصبيان (٤) .

الإنسان يستحقّ الحياة ، ولا يجوز أن يُعتدى عليه ولو كان طفلا ، للطفل حقّ الحياة واحترام النفس كالكبير تماماً ، ولذلك يجب في هذا دية كاملة وفي هذا دية كاملة ، وفي هذا كفّارة وفي هذا كفّارة .

---

(١) أنظر البحث القيمّ الذي كتبه الأستاذ القرضاوي عن ( عقوبة المرتد ) في كتابه (ملامح المجتمع المسلم ) فصل ( العقيدة والإيمان ) نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة .

(٢) النساء : ٩٢ . وتتمّتها : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ ، وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ .

(٣) وروى نحوه النّسائيّ ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٦٦٧/٢ ، الحديث ١٤٥٢ ) .

(٤) متفق عليه ( اللؤلؤ والمرجان : ١١٣٨ ) .

بل لا يجوز الاعتداء على الجنين بالإجهاض والإسقاط ، وخاصّة إذا كان بعد مرور أربعة أشهر ، حيث تكون الجريمة فيه جريمة قتل كاملة .

إذا كان الإجهاض في الأربعين الأولى فهو أخفّ ، ولكنّه جريمة ، وإذا كان بعد الأربعين الأولى فهو جريمة أكبر ، ولا يجوز اللجوء إليها في الأسابيع الأولى إلاّ لضرورة يقدّرها الأطباء الثقات المتخصّصون ، كخطر على صحّة المرأة أو نحو ذلك ، لأنّ حياة الأم مُقدّمةٌ على حياة الجنين ، وصحّتها مُقدّمةٌ على صحّته .

بل لو نشأ هذا الجنين من حرام ، لم يجز لأمّه ولا غيرها الاعتداء على حياته ، كما رأينا ذلك في قصّة المرأة الغامديّة ، التي طلبت من الرسول أن يقيم عليها الحد ، لأنها حبلى من زنا ، فرفض ذلك حتى تضع ، وبعد الوضع حتى يفطم طفلها ! (١)

إلى هذا الحدّ يحترم الإسلام النفس البشريّة .

بل لا يجيز الإسلام للإنسان أن يعتدي على حياة نفسه ، أنت ملك لله ، فمن أعطاك الحقّ أن تنتحر . . أن تقتل نفسك . . أن ترميها من شاهق . . أن تضرب نفسك بالرصاص ، كما يفعل أولئك الذين يقلّدون الأفلام والتمثيليّات وغيرها .

الأصل أن يصبر المسلم على الشدائد ، المسلم صبور مصابر ، يرضى بما قسم الله له ، ويتوقّع أن يفرّج الله عنه الشدائد، ويعلم أنّ مع اليوم غدا ، وأن غداً لناظره قريب ، وأنّ دوام الحال من المحال ، وأنّ مع العسر يسرا ، وأنّ بعد الظلام فجرا ، ولهذا لا يُقدم المسلم على جريمة يقتل فيها نفسه .

وليس في الحياة ما يستحقّ أن يقتل الإنسان نفسه من أجله ، أمن أجل حبّ قد فشل ، أو من أجل تجارة قد كسدت ، أو من أجل أمل قد خاب ، يُقدم الإنسان على قتل نفسه يائسا من روح الله تعالى ؟! والله تعالى يقول : ﴿ . . إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢) ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ (٣) .

لهذا جاءت الأحاديث تشدّد في هذا الأمر ، وتنذر أبلغ الإنذار ، وتتوعّد أشدّ الوعيد ، يقول النبي ﷺ : « من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنّم يتردّى فيها خالدا فيها أبدا ، ومن تحسّى سُمًّا فقتل نفسه فسمّه في يده يتحسّاه في نار جهنّم

---

(١) أنظر قصّتها في « صحيح مسلم » باب « حدّ الزنا » .
(٢) يوسف : ٨٧ (٣) الحجر : ٥٦ . .

خالدا مخلدًا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنّم خالداً مخلدا فيها أبدا » (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الذي يخنق نفسه يخنقها في النّار ، والذي يطعن نفسه يطعن نفسه في النّار ، والذي يقتحم يقتحم في النّار » (٢) .

وجاء في الصحيح أنّ النبي ﷺ قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكّيناً فحزّ بها يده ، فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله تعالى : بادرنى عبدي بنفسه ، حرّمت عليه الجنّة » (٣) .

والله تعالى يقول: ﴿. . . . وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ، إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾(٤)

القتل حرام ، وسفك الدماء حرام ، بل من أكبر كبريات الحرام ، حتى قال من قال من الصحابة : لا توبة للقاتل ، قالوا لأنّ هناك حقوقاً ثلاثة :

حق الله تعالى : وهذا تنفع فيه التوبة .

وحق أولياء الدم: ( أهل المقتول وورثته ) ، وهؤلاء يمكن أن يسقطوه بالعفـــو أو بأخذ الدية أو بالصلح .

وبقي حقّ المقتول نفسه : وقد جاء في الأحاديث : « يأتي المقتولُ متعلّقاً رأسُهُ بإحدى يديه ، مُتَلَبِّباً قَاتلَه باليد الأخرى ، تَشْخُبُ أَوْداجُهُ دماً حتى يأتي به العرش ، فيقولُ المقتولُ لربّ العالَمين : هذا قتلني ، فيقول الله عزّ وجلّ للقاتل : تَعِستَ ، ويُذْهَبُ به إلى النّار » (٥) .

---

(١) رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي بتقديم وتأخير ، والنسائي ، وروى أبو داود نحوه ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٦٦٧/٢ ، الحديث ١٤٥٣ ). وقوله « يتوجأ بها » أي يضرب بها نفسه .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٦٦٨/٢ ، الحديث ١٤٥٤ ) .

(٣) رواه البخاري في كتاب ( الأنبياء ) باب ( ماذكر عن بني إسرائيل ) ، من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه . (٤) النساء : ٢٩ .

(٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، رواه الترمذي وحسّنه ، والطبراني في الأوسط ، ورواته رواة الصحيح ، واللفظ له، والحديث كان جوابا من ابن عباس لمن سأله : يا أبا العباس ، هل للقاتل من توبة ؟ فقال ابن عباس كالمُعَجِّب من شأنه : ماذا تقول ؟ فأعاد عليه مسألته ، فقال: ماذا تقول ؟ مرتين أو ثلاثاً ، ثمّ ذكر له الحديث( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب:٦٦٦/٢ ، الحديث ١٤٤٩ ) .

وقال الآخرون : إذا تاب توبة نصوحاً ورضي عنه أولياء الدم ، فإنّ الله جدير أن يرضي عنه القاتل يوم القيامة ، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة ، وهذا هو الصحيح والراجح إن شاء الله .

هذا ما جاء به الإسلام - أيّها الإخوة - : لا تقتل ، ولا تشارك في القتل ولو بشطر كلمة .

بل جاء في الحديث : لا يشهد أحدكم قتيلاً ، لعلّه أن يكون مظلوما ، فتصيبه السخطة » رواه أحمد واللفظ له ، والطبرانيّ إلاّ أنّه قال : « فعسى أن يكون مظلوماً ، فتنزل السخطة عليهم ، فتصيبه معهم » (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من جرد ظهر مسلم ( يعني : ليضربه ) بغير حقّ، لقي الله ، وهو عليه غضبان » (٢) وذلك ليعيش المسلم مصدر سلام للنّاس من حوله، فالمسلم الحق من سلم الناس من يده ولسانه .

لا تقتل ، ولا تؤذ أحداً ولا تشهد مشهد قتل أو ظلم .

هناك أناس جلاّدون لا يبالون بحرمات الخلق ، وحقوق الإنسان ، أناس طالما سفكوا الدماء ، وعذّبوا خلق الله .

لقد رأينا أناساً أمسكوا بأيديهم الكرابيج والسياط ، وأمسكوا بأيديهم أدوات التعذيب ، ومازالوا يعملون فيها طوال اللّيل ، في أجسام غضّة ، وظهور طالما انحنت لله تعالى راكعة ، وأعضاء لم تعرف إلاّ السجود لله ، حتى خرّوا قتلى من التعذيب ، رأينا هذا والله بأمّ أعيننا .

رأينا الذين قُتلوا ثمّ دُفنوا في جنح الليل ، ولم يعرف أحد أين ذهبوا ، وجاء أهلوهم ليزوروهم في السجون والمعتقلات ، فقيل لهم : أفرج عنهم !

ياويل هؤلاء الجلاّدين ! ! ألم يقرأوا آيات القرآن ؟ ألم يقرأوا أحاديث محمدّ

---

(١) قال المنذري في الترغيب والترهيب : رواه - عن خرشة بن الحر- رضي الله عنه- أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح خلا ابن لهيعة ( المنتقى : ١٤٥٩ ) وقال الهيثمي : فيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن ، وفيه ضعف ، وبقيّة رجالهما رجال الصحيح ( مجمع الزوائد : ٦/ ٢٨٤ ) و ( ٧/ ٣٠٠ )

(٢) قال المنذري : رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسناد جيّد - عن أبي أمامه - المنتقى (١٤٦٠) وكذا قال الهيثمي (٦/ ٢٥٣)

ﷺ ؟ ألم يعرفوا أنّ للنفس حرمتها ، وأنّه لا يجوز قتل هرّة بغير حق ، فإنّ امرأة دخلت النّار في هرّة حبستها (١) حتى ماتت ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خَشاش الأرض (٢) .

نسأل الله عزّ وجلّ أن يهيىء لنا من أمرنا رشدا ، وأن يوفّق المسلمين إلى حقن دمائهم ، بدل هذه الحروب التي تُسفك فيها الدماء لسبب ولغير سبب ، ولحقّ ولغير حقّ.

نسأل الله أن يعصم هذه الدماء ويحقنها ويصونها ، ويوفّق من المسلمين من يقوم على حقنها .

استغفروا ربّكم إنّه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* *

## • الخطبة الثانية :

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة :

كتبت إليّ إحدى الأخوات - ولعلّها من المصلّيات في المسجد أو من المستمعات في البيوت - تقول : لماذا توجّه كلامك إلى الرجال دون النساء ، ولا تخصّنا نحن بحديث كالرجال ، وتطالبني أن أتحدث عن برّ الأمّهات وعقوقهنّ ، لما ترى من كثرة العاقّين من الأبناء والبنات .

وأحبّ أن أقول : إنّ هذه الخطب والأحاديث ليست موجّهة للرجال وحدهم ، إنّها للرجال وللنسّاء جميعا ، إنّ الله تعالى حينما يقول : « يا أيّها الذين آمنوا » - وإن كانت الواو هنا للجماعة الذكور كما يقول النحويّون - فهذا خطاب للمؤمنين والمؤمنات جميعا .

---

(١) فكيف بمن يسجن ويعذّب ألوف المؤمنين ؟!

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها ، فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خَشاش الأرض » . وفي رواية : « عُذّبت امرأة في هرّة سجنتها حتى ماتت ، لا هي أطعمتها وسقتها ، إذ هي حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خَشاش الأرض » رواه البخاري وغيره ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٦٢٨/٢ برقم ١٣٣٣ ) .

كلّ ما في القرآن وفي السّنّة من أوامر ونواهي وتوجيهات فهو للجنسين معاً ، ولذلك فالكلام للجميع .

إذا تحدثنا عن الشرك والبراءة من الشرك ، فالحديث يعمّ الرجال والنساء ، إذا قلنا : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا . . ﴾ (١) ، فهذا للرجال وللنساء .

كلّ الصفات هذه يشترك فيها الرجال والنساء ، إلاّ ما كان من خصوصيّات الرجال أو من خصوصيّات النساء .

فليفهم هذا جيدًا .

أمّا حديث البّر والعقوق ، فهو حديث يحتاج إلى خطبة مستقلّة أو أكثر من خطبة، ولكنيّ أحبّ أن أقول شيئاً سريعا :

إنّ برّ الوالدين في نظر الإسلام يأتي بعد توحيد الله تبارك وتعالى ، فالقرآن يقول: ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا به شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً . . ﴾ (٢) ، ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . . ﴾ (٣) ، ﴿ . . أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ، إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (٤) .

وجعل عقوق الوالدين من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله تعالى ، وليس من الكبائر فقط بل من أكبر الكبائر (٥) ، والعاقّ لوالديه لا يشمّ رائحة الجنّة .

العقوق من أكبر المحرّمات في الإسلام ، وبخاصّة عقوق ( الأمّهات ) : « إنّ الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات ، ووأد البنات . . » (٦) .

خصّ ( الأمّهات ) بالذكر ، مع أنّ عقوق الآباء - أيضاً - محرم ، ولكنّ الأبناء

---

(١) الفرقان : ٦٧ .
(٢) النساء : ٣٦ .
(٣) الإسراء : ٢٣ .
(٤) لقمان : ١٤ .

(٥) كما ثبت في حديث أبي بكرة الذي رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثاً . قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين » وكان متكئاً فجلس ، فقال : « ألا وقولُ الزور ، وشهادة الزور » فما زال يكررّها حتى قلنا : ليته سكت ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٦٨٠ ، الحديث ١٤٩١ ) .

(٦) رواه البخاري - وغيره - عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، وتتمّته : « ومنعاً وهات، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٦٨٠ برقم ١٤٩٠ ) .

قد يجترئون على الأمّهات مالا يجترئون على الآباء ، ولأنّ حقّ ( الأمّ ) في البّر أكبر من حقّ الأب (١) ، ولهذا لمّا سئل النبي ﷺ : من أحقّ النّاس بحسن صَحَابَتِي ؟ قال : « أمّك » قال : ثمّ من ؟ قال : « أمّك » قال : ثمّ من ؟ قال : « أمّك » قال : ثمّ من ؟ قال : « أبوك » (٢) .

وقال في حديث آخر : « إنّ الله تعالى يوصيكم بأمّهاتكم ، إنّ الله تعالى يوصيكم بأمّهاتكم ، إنّ الله تعالى يوصيكم بأمّهاتكم ، إنّ الله تعالى يوصيكم بآبائكم ، إنّ الله تعالى يوصيكم بآبائكم ، إنّ الله تعالى يوصيكم بالأقرب فالأقرب » (٣) .

فحقّ الأمّ حقّ عظيم ، ومن هنا لمّا ذكر القرآن الإحسان بالوالدين : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ (٤) قال : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ، وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا . . ﴾ (٥) ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ . . ﴾ (٦) .

فالأمّ هي التي تعبت ، الأمّ هي التي سهرت ، الأمّ هي التي عانت من الحمل والطلق والوضع .

ولهذا روى البزّار : أنّ رجلاً كان يطوف بالكعبة وهو يحمل أمّه على كتفه ، فرآه النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، أأوفيت لها حقّها ؟ فقال ﷺ : لا ، ولا بزفرة واحدة » (٧) ، أي ولا بزفرة من زفرات الطلق وألم الوضع .

وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنّ أمّي بلغت من الكبر والوهن أنّها

---

(١) ويقول الحافظ ابن حجر : قيل خصّ الأمّهات بالذكر ، لأنّ العقوق إليهنّ أسرع من الآباء لضعف النساء ، ولينبّه على أنّ برّ الأمّ مقدّم على برّ الأب في التلطّف والحنوّ ونحو ذلك (فتح الباري ، كتاب الاستقراض : ٥/ ٨٣ ) ط . دار الريان بالقاهرة .

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ( رياض الصالحين للنووي : باب برّ الوالدين وصلة الرحم ) ، و « صَحَابَتِي » بمعنى : صُحْبَتِي .

(٣) رواه البخاري في الأدب ، وابن ماجه ، والطبراني في الكبير ، والحاكم ، عن المقدام رضي الله عنه ، ورمز له السيوطي بالحسن ، وذكره في صحيح الجامع الصغير (١٩٢٤) .

(٤) ،(٥) الأحقاف : ١٥ . (٦) لقمان : ١٤ .

(٧) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الإسراء (٣/ ٣٥) ط . الحلبي ، من رواية الحافظ البزّار في مسنده عن بريدة ، وفي سنده الحسن بن أبي جعفر ضعيف ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٣٧) .

صارت لا تقضي حاجتها إلاّ وظهري لها مطيّة ، هل أديّت حقّها ؟ قال : لا ، إنّها كانت تفعل بك ذلك وأنت صغير وتتمنّى لك عمراً طويلا ، أمّا أنت فتفعل بها ذلك اليوم وأنت تنتظر موتها غداً أو بعد غد .

روى معاوية بن جاهمة أنّ أباه جاهمة جاء إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله أردت أن أغزو ، وقد جئت أستشيرك ، فقال : « هل لك من أمّ ؟ » قال : نعم ، قال : « فالزمها ، فإنّ الجنّة عند رجلها » (١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله ﷺ ، فقال : إنّي أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه ، قال : « هل بقي من والديك أحد ؟ » قال : أمي ، قال : « قابل الله في برّها ، فإذا فعلت ذلك فأنت حاجّ ومعتمر ومجاهد » (٢) .

الأمّ هي التي توصلك إلى الجنّة إن رضيت ، أو توصلك إلى النّار إن سخطت .

جاء في حديث الترمذي بسند ضعيف عن عليّ رضي الله عنه : « إذا فعلت أمّتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء [ من هذه الخمسة عشر ] : . . . وأطاع الرجل زوجته ، وعقّ أمّه ، وبرّ صديقه ، وجفا أباه . . . » (٣) .

أنظروا :

« وأطاع الرجل زوجته وعقّ أمّه » : الأمّ التي تعبت فيه وعانت من أجله ، ولعلّها ترمّلت أو تأيّمت عليه ، وحرمت نفسها حياة طويلة ، ومع هذا يأتي هذا الإنسان ليؤثر عليها زوجته ، ليس معنى هذا أن يسيء الإنسان معاملة زوجته ، لا ،

---

(١) رواه النسائي ، واللفظ له ، وابن ماجه ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/٦٧٦ برقم ١٤٧٥) .

(٢) رواه أبو يعلى ، والطبراني في الصغير والأوسط ، وإسنادهما جيّد ، وقال الهيثمي : رجالهما رجال الصحيح ، غير ميمون بن نجيح ، وقد وثقّه ابن حبان (٨/١٣٨) ، وانظر تعليق الشيخ عليه في كتابه المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/٦٧٥ - ٦٧٦ برقم ١٤٧٤ ) .

(٣) ونصّه كاملاً : « إذا فعلت أمتي خمسة عشرة خصلة حلّ بها البلاء : إذا كان المغنم دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته ، وعقّ أمّه ، وبرّ صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شرّه ، وشربت الخمور ، ولبس الحرير ، واتخذت القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفًا أو مسخاً » ( الجامع الصغير : ١/٣٢) وانظر شرحه (فيض القدير : ١/٤٠٩-٤١٠ برقم ٧٧٤) .

ولكن لا يجوز أن يسمع وساوس زوجته - وبعض الزوجات موسوسات لا يحببن الأمّهات - ويطيعها ويعقّ أمّه .

« وبرّ صديقه وجفا أباه » : تراه حلو المعاشرة ، حسن الخلق ، ليّن الطباع مع أصدقائه ، غليظاً جلفاً جافياً مع أبيه .

بهذا ينزل البلاء بالأمّة ، فاتقوا الله أيّها الناس في آبائكم وأمّهاتكم .

إيّاك أن تجعل بينك وبين الجنّة حجاباً إذا أسخطت أمّك أو أباك .

أرض والديك مهما كانا ، حتى لو كانا مشركين : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِى مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ولو جاهداك على الشرك وحاولا أن يخرجاك من الإسلام إلى الكفر وجاهدا من أجل ذلك ﴿ فَلاَ تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ، ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

أيّ دين يحثّ على البرّ إلى هذا الحدّ ؟!

واحذر أن يسلّط الله عليك أبناءك ، فبرّ الوالدين سلف : « برّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم » (٢) .

نسأل الله عزّ وجلّ أن يفقهنا في ديننا ، وأن يهيّىء لنا من أمرنا رشدا .

اللّهمّ اغفر لنا ما مضى ، وأصلح لنا ما بقي .

اللّهمّ اجعل يومنا خيراً من أمسنا ، واجعل غدنا خيراً من يومنا ، ووفّقنا لما تحبّ وترضى .

اللّهمّ اجمع كلمة المسلمين على الهدى ، وقلوبهم على التقى ، ونفوسهم على المحبّة فيك ، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل .

اللّهمّ ألّف بين قلوب المسلمين، وأصلح ذات بينهم ، ووفّقهم إلى حقن دمائهم ، وجنّدهم جميعاً للجهاد في سبيل دينك ، وابتغاء مرضاتك .

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) .

---

(١) لقمان : ١٥ .

(٢) رواه الطبراني بإسناد حسن ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وتتمّته : « وعفّوا تعفّ نساؤكم » ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/٦٧٧ ، الحديث ١٤٨٠ ) .

(٣) الحشر : ١٠ .

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الكَافِرِين ﴾ (١) .

وصلّ اللّهمّ على نبيّك وعبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢).

وأقم الصلاة .

* * *

(١) آل عمران : ١٤٧ .

(٢) الأحزاب : ٥٦ .